

الكتاب المقدس

قوة كلمة الإله

الكتاب المقدس كلمة الإله، هو أكبر ينبوع زخرت لنا فيه قوة الإله، إن كنا نريد ان نتمتع بهذه القوة فعلينا أن نعرف الطريق الى كتاب الإله. كثيرون يصلون الطريق، فبينما هم يصلون طالبين القوة نراهم يهملون الكتاب المقدس، وبينما هم يشناقون الى الثمار المتكاثرة في حياة الخدمة ينسون قول (الرب يسوع المسيح نفسه إن الزرع هو كلمة الإله (لو8:11). إنهم يشناقون الى القوة التي تذيب القلوب الباردة وتحطم الإرادة الصخرية، وينسون القول الإلهي أليست كلمتي كنار وكمطرقة تحطم الصخر" (إر23:29). إن كنا نرغب في الحصول على القوة" في الحياة الروحية وفي خدمة الفادي ينبغي أن نتغذى باستمرار بكلمة الإله، فليس هناك مصدر للقوة. وكما أننا نضعف في قوانا الجسدية إذا أهملنا الغذاء المناسب، كذلك فإننا لا نستطيع أن نجد الطريق الى القوة الروحية إذا لم نصرف يوماً وقتاً كافياً في دراسة كلمة الإله. وسنتأمل الآن في فوائد دراسة كلمة الإله

أولاً: التبكيث على الخطية

نقرأ في سفر (أعمال 2:27) هذا القول الإلهي: "فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نضع أيها الرجال الإخوة"، لقد كانت كلمة الإله هي السبب في أنهم نخسوا في قلوبهم. عندما نقرأ عظة الرسول بطرس في يوم الخمسين نلاحظ أنها أقوى عظة كتابية، وانها عظة مليئة بكلمة الإله من بدايتها الى نهايتها، لأجل هذا فإن كلمة الإله بقوة الروح القدس نخست هؤلاء الناس في قلوبهم، فإن كنت تريد أن يتبكت الناس على خطاياهم قدم لهم كلمة الإله. منذ مدة سمعت أحدهم يصلي قائلاً: "يا رب بكتنا على الخطية"، لقد كانت صلاة جميلة بدون شك، لكن ما لم تأتي هذه النفس الى السبيل الوحيد الذي أعده الإله للتبكيث على الخطية فلن تستطيع أن تحصل على هذا التبكيث. وهكذا الحال أيضاً إذا كنا نريد أن يحصل الآخرون على التبكيث، ينبغي أن نقودهم الى كلمة الإله الحية الفعالة

سألت أحدهم مرة: هل سلمت حياتك للمسيح؟ فأجاب بالنفي، واستطرد يقول: "أظن ان المسيحية ديانة تكلف كثيراً وليس لدي استعداد لهذه التضحية"، عندئذ قلت له: "هل تعلم أنك خاطيء؟" فأجاب: نعم إنني من الشباب الهاديء الطيب"، قلت له: "يا عزيزي، أنت لا تشعر بتبكيث على خطاياك، إن الكتاب الذي في يدي هو الطريق الذي أعده الإله للتبكيث على الخطية". ثم طلبت منه أن يقرأ ما ورد في (متى 22:37-38) "فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الاولى والعظمى"، وبعد القراءة سألته: "آية وصية هذه؟ فأجاب قائلاً: "انها الوصية الاولى والعظمى"، عندئذ قلت له: "على ضوء هذه الكلمات ما هي أول وأعظم خطية؟ فكان جوابه المنطقي هو: "أعتقد أن أول وأعظم خطية هي عدم حفظ الوصية الاولى والعظمى". وفي هدوء قدمت له هذا السؤال الأخير: "هل تحفظ هذه الوصية؟" وكان أمراً مباركاً وجميلاً أن الروح القدس قاد هذه الكلمات الى أعماق قلبه في تلك اللحظة، ولم يمض وقت حتى كان راکعاً بجواري وقد نال الخلاص الثمين بدم المسيح

ثانياً: تجديد الحياة

نقرأ في رسالة الرسول (1بط 1:23) هذا القول المبارك: "مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا

يفنى بكلمة الإله الحية الباقية الى الأبد". ونقرأ أيضاً في (رسالة يعقوب 1:18) هذا القول الإلهي: شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلانقه". إن الطريق الى التجديد ونوال الميلاد الثاني سهل وواضح، حين نفتح القلب لدخول كلمة الإله التي تقدم لنا المسيح المصلوب والمسيح المقام، وحين نرفع القلب الى الإله بالايان، لا شك أننا ننال التجديد. وبنفس هذه الطريقة يمكن ان نرى الآخرين يخلصون إذا قدمنا لهم كلمة الإله

إن نوال التجديد ليس صعباً من جانب الانسان، لكنه من جانب الإله عمل عجيب لا يمكن ان نصل الى عمقه. فمن جانب الإنسان لنلاحظ أن القلب البشري هو التربة، وأنت وأنا كجماعة مؤمنين نزرع الكلمة وكلمة الإله هي الزرع الذي نزرعه في التربة، والإله هو الذي يتعهد هذه البذار وينميتها في القلوب، وعندما تسكن كلمة الإله بالايان في القلب فلا بد أن تثمر بالحياة الجديدة. الميلاد الثاني معناه دخول طبيعة جديدة في القلب، إنها طبيعة الإله، ولكن كيف يمكن أن نكون شركاء هذه الطبيعة الإلهية؟ نقرأ في رسالة (2بط1:4) أننا صرنا بهذه المواعيد العظمى والثمينة شركاء الطبيعة الإلهية. إن كلمة الإله هي الزرع الذي بواسطته تثبت الطبيعة المقدسة في قلب الانسان.

ثالثاً: نوال الإيمان

في الرسالة الى أهل (رومية 1:17) نقرأ هذه الكلمات "الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الإله". إنك لا تستطيع إطلاقاً أن تحصل على الإيمان بمجرد الصلاة، ولن تحصل على الإيمان بتوجيه الإرادة أو العزيمة نحو هذا الاتجاه، إن الطريق الوحيد للإيمان هو كلمة الإله، وهذا ما نلمسه في إيمان الخلاص، فإذا أردت أن تقود شخصاً الى الايمان الذي يخلصه من خطاياها، فقدم له بكل بساطة أقوالاً واضحة مناسبة من كلمة الإله ليستند عليها. وهذا ما حصل مع سجان فيلبي كما نقرأ في الأصحاح السادس عشر من سفر الأعمال، لقد كان سؤاله: "يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" أجابه الرسول بولس بالقول: "أمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك". لكن الرسول لم يقف عند هذا الحد بل نقرأ في العدد الثاني والثلاثين من نفس الأصحاح أنهما - بولس وسيلا - كلماه "بكلمة الإله هو وجميع أهل بيته". لم يطلبوا منه مجرد الايمان بالرب يسوع المسيح ثم تركاه يتخبط في الظلام دون أن يقدموا له أساساً ثابتاً ليستند عليه، لكنهما أوضحا له بكل جلاء طريق الايمان كما تعلنه كلمة الإله

كثيراً ما نفشل في هذه النقطة إذ نطلب من الخطاة أن يؤمنوا دون أن نوضح لهم الطريق أو نقدم لهم شيئاً ليستند عليه هذا الايمان. عندما نطلب من شخص ما أن يسلم حياته للمسيح، فإن الطريق الكتابي الصحيح هو ان تقدم له فصلاً كتابياً مثل الأقوال الواردة في (إشعيا 53:6) عن المسيح المصلوب، أو ما ورد في رسالة (1بطرس 2:24) عن المسيح المتألم وغير ذلك، وبهذه الطريقة يمكن للخاطيء أن يثبت إيمانه على كلمة الإله، لأن الايمان لا يبني قصوراً في الهواء لكن لا بد له من أساس يستند عليه، وهذا الأساس هو كلمة الإله

وما قلناه عن ايمان الخلاص نقوله عن الايمان المجاهد في الصلاة، عندنا الوعد الإلهي في إنجيل مرقس (24:11) "لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فأمنوا أن تتالوه فيكون لكم". فلكني أحصل على الطلبات التي أريدها ينبغي أن يكون هناك إيمان، والإيمان الحقيقي لا بد من مستند يرتكز عليه. قبل أن يكون عندي الإيمان الصحيح الذي به أنال ما أطلب ينبغي أن أستند على وعد من الإله في كلمته الحية، أو أن أستند الى إرشاد صريح واضح من الروح القدس. والآن ماذا نفعل يا ترى؟

عندما نقترّب من عرش النعمة ولنا طلبات معينة نريد أن نحصل عليها ينبغي أن نسأل أنفسنا هذا السؤال المهم "هل يوجد وعد في كلمة الإله يتعلق بهذا الطلب الذي نريده؟" لندرس كلمة الإله حتى نجد هذا الوعد الإلهي، وعندئذ نعرض طلبنا امام الإله متمسكين بهذا الوعد. إن الطريق الوحيد للحصول على الايمان الذي يجاهد في الصلاة امام الإله هو دراسة كلمة الإله ومعرفة المواعيد العظمى والثمينة التي لنا فيها والتمسك بها امام الإله عندما نسكب قلوبنا في حضرته

وبنفس الطريقة نستطيع ان نحصل على الإيمان الذي يزيل الشكوك بواسطة دراسة كلمة الإله، لنفرض أنك تتعامل مع أحد المنتشككين أو الملحددين وتريد أن يصل الإيمان الى قلب ذلك الرجل، هل تعطيه بعض الكتب التي تتحدث عن صحة الديانة المسيحية؟ صحيح أن هذه الكتب نافعة الى حد ما، لكن لماذا نذهب بعيداً وعندنا الكتاب المقدس المؤيد بقوة الروح القدس وفيه من الكفاية والاقناع ما هو أفضل بكثير من آلاف الكتب في المكتبات المختلفة؟ يقول الكتاب المقدس في إنجيل (يوحنا أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الإله ولكي تكون لكم إذا أمنتم حياة" (20:31) باسمه

ثم نلاحظ أيضاً أن الايمان المنتصر على العالم وعلى الجسد وعلى الشيطان هو الايمان المنتصر في عرش النعمة عن طريق كلمة الإله. في بدء خدمتي الروحية قرأت عظة لأحد رجال الإله الأتقياء قال فيها إن المؤمن الحقيقي لا يصلح لشيء إذا لم يكن قوياً في الايمان، ومنذ تلك اللحظة اقتنعت بهذه الحقيقة وعزمت أن أكون قوياً في الايمان، وبدأت طريقي في الخدمة وأنا أحاول الحصول على الإيمان القوي، لكن كل جهودي فشلت، الى أن جاء وقت تمسكت فيه بهذا القول الإلهي: "الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الإله" (10:17)، وعندئذ فهمت سر الايمان القوي، وكان هذا من أعظم الدروس التي تعلمتها في حياتي، ومنذ ذلك الوقت بدأت بتغذية ايماني على كلمة الإله، وكلما ازدادت معرفتي بكلمة الإله كلما تقوى ايماني من يوم الى آخر

رابعاً: طهارة الحياة
كلمة الإله لها القوة، ليس فقط أن تنزع النجاسة من القلب، بل إنها أيضاً تطهر ينابيع النفس الداخلية، فإذا أردنا أن نتمتع بنقاوة الحياة في الخارج والداخل ينبغي أن نغتسل بإستمرار في كلمة الله وأن نتخذها مقياساً لحياتنا الروحية
في المدن الصناعية التي يكثر فيها تصاعد الدخان حتى يشعر به المارة في الشوارع وتتسخ أيديهم وتكون الحاجة مستمرة الى الاغتسال للاحتفاظ بنظافة الجسم، ونحن كمؤمنين نعيش في عالم مليء بأتربة الشهوات وتتصاعد منه روائح الخطية والفساد، نحتاج ونحن نعبر طريقنا يوماً بعد الآخر ان نغتسل بإستمرار بالكلمة الحية إذا أردنا أن نعيش في طهارة السيرة وقداسة السلوك. نحتاج كل يوم ان ندخل الى مرحضة كلمة الإله وأن نطبق الكلمة على حياتنا حتى لا تتعثر أقدامنا، أو نتزلق (خطواتنا، أو تتعطل شهادتنا. "بم يزكى الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك" (مز 119:9)

خامساً: بنية الحياة الروحية
في سفر (الأعمال 2:32) نقرأ هذه الأقوال المباركة، والآن أستودعكم يا إخوتي للإله ولكلمة نعمته القادرة أن تثبتكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين"، بهذه الكلمات يودع الرسول بولس القديسين في أفسس.
في هذه الأيام نسمع كثيراً عن بناء الأخلاق وتكوين الشخصيات الناجحة، ولا سبيل للوصول الى ذلك إلا بالرجوع الى كلمة الإله، حيث نقرأ في رسالة (2بطرس 1:5-7) عن الفضائل المسيحية السبعة اذ يقول: "قدموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففاً، وفي التعفف صبراً، وفي الصبر تقوى، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة
إن مشكلة المؤمنين اليوم هي الإكتفاء بالقليل من هذه الفضائل، والسبب في ذلك هو الإهمال في دراسة كلمة الإله. كل من يريد أن ينمو وأن يبني نفسه في الحياة الروحية ينبغي عليه أن يتغذى بإستمرار وبوفرة بالغذاء الروحي الممتليء من كل مستلزمات القوة ومستلزمات النمو، ألا وهو كلمة الإله

سادساً: حكمة التصرف
يقول النبي داود في (مز 19:13) "فتح كلامك ينير يعقل الجهال" إننا نجد في الكتاب المقدس ينبوعاً

للحكمة أفضل بما لا يقاس من كل ما في كتب العالم جميعاً، وكل من يدرس كلمة الإله جيداً يزدان بالحكمة التي من فوق، الحكمة التي تصلح في الزمان الحاضر وتصلح للأبدية أيضاً الحكمة التي يحتاج العالم الشرير الحاضر ان يعرفها، بل الحكمة التي تتلهم عليها القلوب المتعطشة في سراب هذا العالم الخادع

ولا شك أن الشخص الذي يدرس الكتاب المقدس ويهمل دراسة الكتب الأخرى، أفضل بما لا يقاس من الشخص الذي يدرس الكتب الأخرى ويهمل دراسة كلمة الإله، بل إن الشخص الذي يدرس كلمة الإله ويتغذى بها، يخرج من كنز قلبه الصالح كلاماً نافعاً للبنيان، وهذا ما نلمسه في تاريخ الكنيسة المسيحية عامة، فأولئك الرجال الذين تركوا آثاراً خالدة وعملوا إصلاحات عظيمة سواء دينية أو اجتماعية، الرجال الذين كانت الجموع تتقاطر للاستماع إليهم، كانوا جميعاً رجال الكتاب المقدس ورغم معرفتهم بأساليب العلوم المختلفة إلا أن معرفتهم بالكتاب المقدس كانت لهم كنزاً ثميناً وقوة دافعة من كل وجه

إنني أفضل ألف مرة أن أجلس مع أمثال هؤلاء وأستمع الى كلمات الحكمة والبنيان الخارجة من أفواههم، عن أن أستمع الى الكثيرين الضالعين في علوم الفلسفة والطبيعة وغيرها، الذين لا يعرفون شيئاً عن كلمة الإله. لأن "كل الكتاب هو موحى به من الإله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب (الذي في البر، لكي يكون إنسان الإله كاملاً متاهباً لكل عمل صالح" (2تي3:16-17)

سابعاً: التأكيد بالحياة الأبدية

نقرأ في رسالة (1يو5:13) هذه الكلمات: "كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الإله لكي تعملوا أن لكم حياة أبدية"، إن هذا التأكيد، تأكيد الحياة الأبدية، نحصل عليه عن طريق كلمة الإله. مرات نتقابل مع شخص لم يتأكد بعد نواله الحياة الأبدية، هل نطلب منه أن يصلي حتى يحصل على الحياة الأبدية؟ كلا بكل تأكيد، لكننا بكل بساطة نقدم له ما ورد في إنجيل (يو3:36) "من يؤمن بالإبن له حياة أبدية"، ونستمر معه من هذه النقطة حتى يصدق كلمة الإله ويرى فيها يقين الحصول على الحياة الأبدية، لأنه يؤمن بابن الإله الوحيد ربنا يسوع المسيح

ثامناً: سلام القلب

في (مزمو8:85) يقول الوحي المقدس على لسان داود النبي: "إني أسمع ما يتكلم به الإله الرب، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه

يتطلع الكثيرون في هذه الايام الى السلام، بل ويصلون لاجل السلام غير عالمين ان السلام العميق في القلب لا يمكن ان نحصل عليه بعيداً عن كلمة الإله والكتاب المقدس يقدم لنا في مواضع كثيرة أساساً عميقاً للسلام الداخلي، وحينما نستند على هذه الاقوال المقدسة لا بد أن يهرب من حياتنا كل قلق وانزعاج، ولنأخذ مثلاً ما ورد في رسالة (رومية8:28): "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الإله الذين هم مدعوون حسب قصده"، وحينما نتمسك بهذه الاقوال الالهية فلا يوجد شيء في الوجود يستطيع ان يزعزع سلامنا او يضعف ثقتنا في إلهنا الصالح الذي معه أمرنا بل إن كلمة الإله تعطينا مع السلام، الصبر والتعزية والرجاء، وهذا ما نراه واضحاً في رسالة رومية (4:15) "وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح".

تاسعاً: الفرح و البهجة

ما أجمل الكلمات التي يذكرها النبي إرميا إذ يقول: "وجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي (إرميا 16:15)، والرب يسوع المسيح نفسه يقول في هذا الصدد هذه الكلمات العذبة: "كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم" (يو 11:15). ومن هذا يتضح بجلاء ان كلمة الإله تستطيع ان تفيض في قلوبنا القرح الكامل. ومن الواضح أيضاً أن العالم بكل مسراته لا يستطيع أن يهب للقلب مثل تلك البهجة التي تتدفق وتفيض في قلب كل واحد من أولاد الإله المفديين بدم المسيح

عندما يستندون الى كلمة الإله الحية التي تعمل في قلوبهم بقوة الروح القدس

عاشراً الحفظ من الخطية والضلالات

يقدم الرسول تحذيراً صارماً لشيوخ كنيسة أفسس بشأن الضلالات والبدع التي كانت تزحف بينهم إذ نقرأ في سفر (أعمال 20:29-32) "احترزوا إذماً لأنفسكم ولجميع الرعية لأني أعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة... ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمر ملتوية.." وفي ختام هذا التحذير الخطير يستودعهم الإله وكلمة نعمته

وبنفس هذا الهدف يقدم الرسول بولس النصيحة الختامية قبل استشهاده لتلميذه تيموثاوس أسقف كنيسة أفسس إذ يقول: "ولكن الناس الأشرار المزورين سيتقدمون الى أردأ مضلين ومضلين وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت" (2 تي 3:13 و14) ولا شك ان المؤمن الذي يتغذى باستمرار بكلمة الإله ويلهج فيها نهائراً وليلاً يتمتع بأكثر وقاية ضد ضلالات وبدع هذه الأيام الأخيرة التي نعيش فيها. كما ان اهمال دراسة كلمة الإله كان السبب المباشر في وقوع الكثيرين فريسة سهلة لتلك التعاليم الضالة التي حاول عدو الخير جاهداً أن ينفث سمومها داخل الكنيسة المسيحية في أيامنا الحاضرة

وكلمة الإله لا تحفظنا من الوقوع في الضلالات فقط، بل إنها تحفظنا من الوقوع في الخطية أيضاً، فنحن نقرأ في (مزمو 119:11) خبأت كلامك في قلبي لكي لا أخطيء إليك"، فالمؤمن الذي يدرس كلمة الإله بانتظام كل يوم يتحصن ضد هجمات ومكايد إبليس، اليوم الذي لا يتغذى بكلمة الإله يترك باباً مفتوحاً في حياته يمكن ان يدخل منه عدو الخير، ولنا نحن المؤمنون أعظم قدوة في الرب يسوع المسيح نفسه الذي واجه التجربة وانتصر عليها بالمكتوب

أعتقد أنه أصبح واضحاً مما سبق ذكره في هذا الفصل أن الخطوة الأولى للتمتع بملء القوة الروحية سواء في حياتنا او في خدمتنا هي دراسة كلمة الإله، وحيث تهمل دراسة كلمة الإله فلا سبيل الى التمتع بهذه الحياة الفاضلة

ولا يسعنا في هذه المناسبة إلا أن نقرر هذه الحقيقة التي تظهر واضحة سواء في الكتب التي نتحدث عن أسرار القوة الروحية أو في العظات النارية التي تحدث بها رجال الإله الأتقياء، هذه الحقيقة هي أننا نمجد عمل الروح القدس، لكننا نهمل الوسطة التي عن طريقها يعمل الروح القدس عمله العجيب، وتكون النتيجة مجرد حماسة وقتية دون أن نجد استمراراً في النمو الروحي أو ثمرات متكاثرات لمجد الإله. نحن لا نستطيع أن نحصل على هذه القوة ونحتفظ بها في حياتنا وفي خدمتنا ما لم تكن لنا دراسة عميقة وشعب حقيقي بكلمة الإله

إذا كنا نريد أن أوراقتنا لا تذبل وكل ما نصنعه ينجح، ينبغي أن تكون مسررتنا في ناموس الرب وفيه نلهج نهائراً وليلاً

لعله من السهل علينا كثيراً، بل ومما يتناسب مع تكاسلنا الروحي أن نذهب الى أحد الاجتماعات أن نحضر بعض النهضات ونطلب ملئاً من الروح القدس. إن هذا يبدو أسهل علينا من أن نطيل المكوث يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد الأخرى، ونحن نستخرج غذاءاً لأنفسنا من كلمة الإله الحية ينبغي أن نعلم ان الإمتلاء بالروح القدس سرعان ما يفقد قوته إذا لم يستند باستمرار على دراسة منتظمة وعميقة من كلمة الإله

ولنلاحظ أن الرسول بولس الذي يحرض المؤمنين في أفسس أن يمثلوا بالروح القدس (أفسس 5:18) يحرض المؤمنين أيضاً في كولويسي أن تسكن فيهم كلمة المسيح بغنى (كو 3:16-18)، لأن الرسول بولس يعلم جيداً أنه لا يوجد امتلاء حقيقي بالروح القدس خارجاً عن الدراسة العميقة لكلمة الإله في عرش النعمة

